

الخط العربي

نشأته وتطوره

للكاتب الطاهر أحمد مكي

هذا بحث (1) قيم خص به الأستاذ الجليل الدكتور الطاهر أحمد مكي أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة القاهرة ، مجلة « اللسان العربي » وحضرة الأستاذ ضليح في تاريخ الحضارة الأندلسية ومختلف معالمها .

فنحن ننشر هذه الدراسة الشيقة شاكرين :

الى الفعل ، وامتاز به عن سائر الحيوان ، وضبط الاموال ، وترتيب الاحوال ، وحفظ العلوم في الادوار ، واستمرارها على الاطوار ، وانتقال الاخبار من زمان الى زمان ، وحمل السر من مكان الى مكان .

وكان ابن خلدون (ت 808 هـ = 1406 م) اول عالم ، عربي او غير عربي ، ربط بين الحضارة وابتداع الخط ، بين اجادته وتقدمها ، ثم تتبع مسده داخل الجزيرة العربية : « انما يكون — الخط — بالتعليم ، وعلى قدر الاجتماع وال عمران والتناغي في الكمالات والطلب تكون جودة الخط في المدينة ، اذ هو من جملة الصنائع ، وقد قدمنا ان هذا شأنها ، وانها تابعة لل عمران ، ولهذا نجد اكثر البدو اميين لا يكتبون ولا يقرعون ، ومن قرأ منهم او كتب فيكون خطه قاصرا ، وقراءته غير نافذة ، ونجد تعليم الخط في الامصار الخارج عمرانها عن الحد ابلغ واحسن واسهل طريقا ، لاستحكام الصنعة فيها ، كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد ، وان بها معلمين منتصبين لتعليم الخط ، يلقون على المتعلم قوانين واحكامها في وضع كل حرف ،

نحن نواجه قضية علمية لا باس من اسقاط الروايات التي عجز أصحابها عن مواجهة المشكلة ، ولم يصبروا على محنة البحث ، فلاذوا بالاسطورة يجدون في رحابها التفسير والتعليل والرضا والراحة .

فالحروف العربية ، عند هؤلاء ، انزلت على آدم عليه السلام ، كتبها في طين وطبخه ، بين خطوط وكتب كثيرة ، قبل موته بثلاثمائة سنة ، فلما اظلم الفرق الارض اصاب كل قوم كتابهم . وقيل ان اول من وضعها اخنوخ ، وهو ادريس عليه السلام ، وقيل : « اول من كتب بالعربية اسماعيل » ، وان نفيسا ونصرا وتيبا ودومة ابناؤه وضعوا كتابا واحدا ، وجعلوه سطرا واحدا ، موصول الحروف كلها غير متفرق ، ثم فرقه نبت وهبيسع وقبذار ، وفرقوا الحروف وجعلوا الاشباه والنظائر .

اما الشيخ شمس الدين بن الاكفاني فكان ، في كتابه « ارشاد القاصد » اكثر التصانيف بالارض ، وتحريا للواقع ، وايانا بالانسان ، فهو الذي صنع الخط ، « وبه ظهرت خاصة النوع الانساني من القوة

(1) فصل من مقدمة كتاب « دراسة في مصادر الادب » الذي سوف تنشره دار المعارف في القاهرة خلال الاشهر القربية .

ويزيدون الى ذلك البباشرة بتعليم وضعه ، فتمتعذ لديه رتبة العلم والحسن في التعليم ، وتأتي ملكته على اتم الوجوه ، وانما اثنى هذا من كمال الصنائع ووفورها ، بكثرة العمران ، وانفساح الاعمال .

« وقد كان الخط العربي بالغاً مبالغه » من الاحكام والانتان والجودة في دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الحميري ، وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر ، نساء التبابعة في العصبية ، والمجددين لملك العرب بارض العراق ، ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لتصور ما بين الدولتين ، وكانست الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ، ومن الحيرة لفته اهل الطائف وقرش فيما ذكر . وصمت ابن خلدون ، احتراماً لشرف الكلمة ، عندما غمت عليه نشاته ، فلم يشر الى الخطوات الاولى التي سبقت اتقانه وجودته عند اولئك وهؤلاء .

ولابن عباس رواية ، من بين روايات كثيرة تنسب اليه ، مؤداها : « ان اول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان ، وبولان قبيلة من طيء ، نزلوا مدينة الانبار (1) ، وهم مراير بن مرة ، واسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ، اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة ، ثم تاسوها على هجاء السريانية ، فأما مراير فوضع الصور ، وأما أسلم ففصل ووصل ، وأما عامر فوضع الاعجام ، ثم نقل هذا العلم الى مكة وتعلمه من تعلمه وكثر في الناس وتداولوه » . وهي رواية الصناعة فيها واضحة ، والسجع الذي في « مرة وسدرة وجدرة » يوحي بانها شخصيات لا وجود لها الا في مخيلة صانعها ، ويصعب على العقل ان يتصور ثلاثة من الغرياء ، التقوا عفواً او تصداً ، يمكن ان يبتدعوا ، ببساطة وفي زمن قصير ، ابجدية كاملة ، لكن الرواية تضم اثارين لهما اهمية بالغة ، اولاهما ان الخط العربي ، في بعض مراحلها ، انما من الرسم السرياني ، واخرهما ان الانبار كانت من بين مواطن تعليم الخط العربي واذاعته في بقية انحاء الجزيرة العربية .

وتأتي روايات أخرى فمتصل ما أجمله ابن عباس في هذه الرواية ، فقد تعلم بشر بن عبد الملك الكندي

الخط في الانبار ، ثم خرج الى مكة في بعض شأنه ، وهناك اصهر الى بني أمية ، فتزوج الصهباء بنت حرب ابن أمية ، وعلم اباهما واخاهما سفيان بن حرب الخط ، وتعلمه معاوية من عمه سفيان ، وتعلمه معه عمر بن الخطاب ، ثم شاع الخط في سائر قرش .

وثمة روايات أخرى تزيد الامر تحديداً ، فتجمل انتقال الخط من الانبار الى الحيرة ، ومن الحيرة الى داخل الجزيرة ، ودور الحيرة في الادب العربي ، والحياة العقلية العربية ، واضحا ومعروفاً ، اجملسه ابن رسته في كتابه « الاعلاق النفيسة » : « ان اهل الحيرة علموا قرشاً الزندقة في الجاهلية ، والكتابة في صدر الاسلام » .

من الواضح اذن ان الخط العربي جاء الى الجزيرة العربية من خارجها ، من اطرافها ذات الحضارة المتقدمة ، والمتعاطلة مع ما جاورها من حضارات أكثر تقدماً . ولم يتفق المؤرخون العرب على المكان الذي كان المصدر الاول ، ولا على اول ناقل له ، وهو أمر طبيعى ، فالاقرب الى المنطق ، في بيئة كانت ، رغم صحاريها ، محور التقاء بين عدد من الحضارات ، ومحطاً للمسافرين من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب ، وتحترف التجارة او الحراسة او الوساطة بين كل هؤلاء ، ان تاخذ عنهم جميعاً ، وان تقلدهم فيما يسبقونها ، وان يتم ذلك على ايد كثيرة ، تثلته على آحاد طويلة ، فكان لهم اخيراً رسمهم العربي المستقل .

تلك وجهة نظر العرب القدامى ، اما البحث الحديث فسلك بالامر وجهة أخرى . حاول ان يتتبع نشأة الابجديات فيها حول الجزيرة العربية نفسها ، وان يستنتج ما عثر عليه من نقوش في اطرافها ، ورغم النتائج العلمية التي توصل اليها ، فان الكلمة الفاصلة لا تزال في انتظار المزيد من الحقائق ، لان كنوز قلب الجزيرة العربية المطمورة من الشواهد والمخلفات والاثار ، اذا ما اميط اللثام عنها ، يمكن ان تسد الفجوات القائمة في النظريات الحديثة ، وان تحوّل كثيراً من الظنون والشبهات الى يقين .

(1) مدينة قديمة في العراق ، على الشاطئ الايسر للفرات ، في الشمال الشرقي من العراق فتحها خالد ابن الوليد عام 634 م .

وأطلق على رأس الثور هذا في لغته اسم « الف » ، ثم استعمل هذا الرمز ليدل وفق قواعد الاكروفونية على الصوت ، وبالطريقة نفسها أطلق على الرمز الذي يدل على البيت وسماه « بث » واستعمله للدلالة على الصوت (ب) وهكذا (3) .

والاصل السينائي للإبجدية يشرح لنا كيف كان في الامكان نقلها من ناحية الى جنوب بلاد المغرب ، حيث مرت بتطور مستقل ، واستعملها المعينيون في تاريخ ربما كان يرجع الى سنة 1200 ق م . ومن ناحية أخرى كيف نقلت الى الشمال حيث الساحل الفينيقي ، ولقد نقلت الابجدية مع التجارة في الفيروز الذي كان يبيعه العرب الى الفينيقيين ، كما انها بالمثل تماما نقلت مع التجارة من الفينيقيين الى اليونان ، وأصبحت أم الابجديات جميعا (4) .

وأقدم رسم عربي وصل اليها كان مشتقا من خط المسند (5) اليمني ، وهذا مشتق بدوره من الخط الكنعاني ، ووصل اليها في نقوش تحمل ثلاثة انواع متقاربة منه ، عثر عليها في منطقة واسعة في شمال شبه الجزيرة العربية ، تمتد من دمشق حتى منطقة العلا ، هي النقوش اللحيانية والثمودية والصفوية . والخط اللحياني لا يكاد يختلف عن خط المسند الذي اشتق منه ، ويسير مستعرضا من اليمين الى الشمال . والخط الثمودي مشتق من خط المسند أيضا ، واتجاهاته غير ثابتة ، وغالبا يتجه من اعلى الى اسفل . والخط الصفوي يشبه الخط اللحياني غير انه مختلف الاتجاهات ، فتارة يقرأ من اليمين الى الشمال وأخرى من الشمال الى اليمين . وحروف الهجاء فيها كلها ترسم متفرقة ، واغفلت الحركات القصيرة ، وأصوات المد

كانت شبه جزيرة سيناء الملاصقة لموطن الانباط(1) مهد أقدم نقوش إبجدية حصل عليها حتى الآن . وهذه النقوش قد كشفت حديثا عند سراييط الخادم ، ونقلت الى متحف القاهرة . وقد قامت عدة محاولات لفك طلاسمها ، وهذه الكتابة من صنع العمال من أهل سيناء في مناجم الفيروز ، ويرجع تاريخها الى سنة 1850 قبل الميلاد ، اي انها أقدم بنحو ستة قرون من نقش احيرام ملك جبيل (2) ، والتي وجدها العالم الاثري بيير مونتيه P. Montet . واعتبرت التالية لاتدم النقوش الفينيقية المعروفة .

وبعد تطور الابجدية السينائية نقلت حروفها الى شمال الشام ، ثم حولت هناك الى الحروف المسمارية الفعلية ، كما تدل على ذلك لوحات رأس الشجرة ، التي ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ومن الواضح ان هذا الخط الذي كشف حديثا هو خط ابجدي سامي ، ورغم انه كتب بالقلم على لوحات من الفخار فان حروفه ليست مستمارة من الحروف السومرية الاكادية السابقة ، ففيه قد حولت الابجدية السينائية الى غرار الرموز (الودية) المسمارية .

ويرى العلماء المحدثون ان الكنعانيين ، وكانوا اول من استعمل طريقة للكتابة تستعمل فيها الحروف خالصة ، قد نقلوا طريقتهم في الاصل عن الحروف الهيروغليفية المصرية ، ولكن الهوة بين طريقتي الكتابة كانت دائما شاسعة ، فجاءت الكتابة السينائية الآن لتصل بين الكتابتين ، ولتكون الحلقة المفقودة بينهما . ونضرب لذلك مثلا فنقول ان السامي من أهل سيناء اخذ من الهيروغليفية الرمز الذي شكله رأس ثور (بصرف النظر عما يعني رأس الثور في اللغة المصرية)

(1) في اوائل القرن السادس قبل الميلاد جاء الانباط ، كقبائل بدوية ، من الموضع الذي يعرف باسم ما وراء الاردن ، وجعلوا عاصمتهم البتراء ، وهي في العبرية سلع ، وفي العربية الرقيم ، واسمها الحديث وادي موسى . وكان الانباط يتكلمون اللغة العربية ، ويستخدمون الحروف الآرامية ، وبلغت البتراء أقصى درجات الغنى والرخاء في القرن الاول الميلادي ، وكان الانباط يكونون حلقة هامة في السلسلة التجارية التي كانت عاملا في ازدهار بلاد العرب الجنوبية ، وبعد القرن الاول الميلادي فقدت مزايا المركز الممتاز ، واخذت دولة الانباط تتدهور . ثم انطوت تحت راية الامبراطورية الرومانية ، واختفى تاريخ البتراء بعدها لعدة قرون .

(2) جبيل مدينة من اشهر مدن الفينيقيين ، ويطلق عليها في المصادر اللاتينية اسم بيبولس .

(3) فيليب خوري حتى : تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ، ص 84 ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1949 .

(4) المصدر السابق : نفس الصفحة .

(5) سمي المسند لان معظم حروفه خطوط تستند الى اعمدة ، وكان علماء المسلمين هم الذين انتبهوا الى هذه الظاهرة ، واطلقوا عليه هذا الاسم .

منها ، بما فيها الخط النبطي ، لتعين على تصور مراحل تدرج الخط العربي .

فقد عثر في أم الجمال ، جنوب حوران ، من أعمال شرقي الاردن ، على نقش من ثلاثة سطور ، آرامي اللغة ، نبطي الخط ، وصورته :

الملك زبدي ملك
 ملك حرام
 ملك حرام

وكلماته في حروف عربية حديثة هي :

- 1 - دنه نفسو فهو .
- 2 - بر سلى ربو جذيمت .
- 3 - ملك تنوخ .

وترجمته الى اللغة العربية :

- 1 - هذا قبر (1) فهو .
- 2 - ابن سلى مرسى جذيمة .
- 3 - ملك تنوخ .

وقد وجد النقش بلا تاريخ ، ويرجح المستشرق الالماني انوليتمان Enno Littman والكونت ذي فوجويه De Vogüé انه يرجع الى عام 270 م ، ويميل ليمان الى ان كاتب النقش عربي يعرف الارامية ، لانه وضع أسماء الاعلام العربية في قالب آرامي بزيادة حروف الواو في كلمات : نفس وفهو ومرسى . ويرى أن حرف الواو الزائد وضع لينوب عن التتوين في حالة الرفع ، ولعل كاتب هذا النقش اراد باثبات الواو ان يبدل القارئ على النطق الصحيح للكلمة . ويضم النص حروفا غير مرتبط بعضها ببعض ، مثل حرف السين من كلمة « نفسو » في السطر الاول ، والياء من كلمة « جذيمت » في آخر السطر الثاني ، اما كلمتا « سلى » و « ملك » فرسمها قريب جدا من رسمهما العربي الاسلامي .

ويليه نقش « النمارة » ، وقد عثر عليه ديسو Dussaud وماكلر Macler عام 1901 م ، على بعد كيلو متر واحد من النمارة القائمة على انقاض مخفر روماني قديم شرقي جبل الدروز ، على مقربة من دمشق ، وأطلق عليه اسمها ، وكتب تخليدا لذكرى الملك امرىء

عربي قديم	عربي	سبطريجي	نبطي	سبطريجي	نبطي	آرامية	عبرانية	عبرانية	عبرانية
أ	ا	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ب	ب	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ج	ج	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
د	د	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
هـ	هـ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
و	و	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ز	ز	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ح	ح	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ط	ط	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ي	ي	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ك	ك	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ل	ل	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
م	م	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ن	ن	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
س	س	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ع	ع	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ف	ف	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ص	ص	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ق	ق	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ر	ر	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ش	ش	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
ت	ت	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ

الطويلة اغفالا تاما ، وكانت مجردة من الاعجام . وبعض حروفها يستخدم للرمز الى أكثر من صوت واحد . لدينا عدد من النقوش يمثل تطور الخط العربي الذي نكتب به الآن في مراحلها المختلفة ، منذ كان تقليدا للخط النبطي ، او هو الخط النبطي محورا ، الى أن استقام فنا قائما بذاته ، له اصوله وتواعده واساتذته والوانه على النحو الذي يعرف به اليوم . وخارج عن موضوعنا ان نعرض لكل هذه النقوش ، فلذلك موضعه من الدراسات السامية ، وانما يعني ان نشير الى بعض

(1) كلمة نفس تعني قبراً في اللغة العربية البائدة .

القيس بن عمرو المتوفى عام 328م ، وكان ملكا على الحيرة وامتد نفوذه حتى بادية الشام ، ويحمل تاريخ سنة 223 من سقوط سلج ، وهي توافق تاريخ وفاة الملك ، وصورة النقش :

١
٢
٣
٤
٥

وكلماته في حروف عربية :

- 1 - تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج .
- 2 - وملك الاسدين ونزرا وملوكهم وهرب منحبوا عكدي وجا .
- 3 - بزجي في حبيج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .
- 4 - الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
- 5 - عكدي هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول بلسعد ذو ولده .

وترجمته الى العربية :

- 1 - هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي حاز التاج .
- 2 - وملك الاسدين ونزارا وملوكهم وهرب منحبوا بقتوته وجاء
- 3 - الى نزجي في حبيج نجران مدينة شمر ، وملك معدا وانزل بنيه
- 4 - الشعوب . ووكله الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
- 5 - في القوة . هلك سنة 223 يوم 7 كسلول (1) ، ليسعد الذين ولداهم .

والنقش ، كما ترى من صورته ، مدون بالرسم النبطي المتصل الحروف ، ويشهد وجه الشبه بينه وبين الرسم العربي في أول مراحلها ، ويشتمل على جملة كثيرة تتفق كل الاتفاق مع اللغة العربية الباقية ، مثل : « فلم يبلغ ملك مبلغه » و « نزل بنيه الشعوب » و

« ملك العرب كلها » و « هلك سنة » ، ويمكن القول أن هذه الجمل اقدم ما وصلنا مدونا من الاسلوب العربي الذي جاء فيه الادب الجاهلي . وكان الرأي فيه انه كتب باللغة الآرامية ، ويضم بعضا من الكلمات العربية ، ولكن كثرة هذه الكلمات ، واتفاقتها مع العربية الباقية ، جعل المستشرق انوليتان يرى العكس ، ويقرر أنه نقش عربي مكتوب بالقلم النبطي ، ويشتمل على بعض اللفاظ الآرامية ، وأكثر كلماته تبدو واضحة يستطيع أن يبينها أي قارئ مثقف معاصر مع شيء من التأمل ، ففي السطر الاول : نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب . وفي الثاني : وملك الاسدين ونزروا وملوكهم ... وفي الثالث : ... مدينة شمر وملك معد (2) . وفي الرابع : الشعوب ... فلم يبلغ ملك مبلغه . وفي الخامس : عكدي ، هلك سنة ... يوم ...

ثم عثر على نقشين هامين أحدث تاريخا من نقش « النهار » ، ويمثلان في تاريخ الخط العربي تطورا أكثر تقدما ، فرسمها مستقل عن الرسم النبطي ، أو قطع مرحلة هامة في طريق الاستقلال عنه . وفيها تقترب صورة الحرف من الصورة التي نستخدمها الآن ، ولا يجد المرء صعوبة كبيرة في قراءة كلماته ، وقد اكتشف الاول منها الاثري ساخو Sachau عام 1879 ، وأطلق عليه نقش « زيد » ، اسم مدينة خربة بين تنسرين ونهر الفرات ، في الجنوب الشرقي من مدينة حلب ، ووجد على أحد أبواب المعابد المقامة للقدسي سرج ، ويرجع تاريخه الى عام 512 م ، وهو مدون في ثلاث لغات : العربية القديمة ، والسريانية واليونانية ، وصورة ما بقي من الكتابة العربية هي :

١٠ سراج بر سراج ٩ سراج ٨ سراج ٧ سراج ٦ سراج ٥ سراج ٤ سراج ٣ سراج ٢ سراج ١

١٠ سراج ٩ سراج ٨ سراج ٧ سراج ٦ سراج ٥ سراج ٤ سراج ٣ سراج ٢ سراج ١

ورسمها بالحروف العربية المعاصرة هو :

- 1 - م الاله سرجو بر أمت منغو وهنيء بر مر القيس .
- 2 - و سرجو بر سعدو وسترو و (شر) يحو بتميمي .

(1) كسلول : كانون الاول .

(2) التبسي الامر على الدكتور ناصر الدين الاسد في تفسيره كلمات النقش ، فجعل سطره اربعة وهي خيسة ، واسقط السطر الثالث تماما ، وفسر كلمات السطر الرابع على أنه الثالث ، والخامس على أنه الرابع . انظر : « مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية » ، ص 28 و 29 .

قبر رجل يدعى عبد الرحمن بن خير ، وعثر عليه في
الفسطاط . ويعود تاريخه الى 31 للهجرة (= 652 م)
ويوجد في متحف الآثار الاسلامية بالقاهرة ، وهو النقش
الوحيد الذي بين أيدينا من هذه الفترة المبكرة من
تاريخ الكتابة العربية . وذكر الدكتور ناصر الدين الاسد
ان « الدكتور محمد حميد الله عثر على عدة نقوش على
تمة الطرف الجنوبي لجبل سلع ، في المدينة المنورة ،
خارج سورها الشمالي ، ويرجح - اي الدكتور حميد
الله - ان هذه النقوش ترجع في تاريخها الى غزوة
الخدق في السنة الخامسة للهجرة » . لكن الدكتور
ناصر الاسد اکتفى بهذه الاشارة ، دون ان يورد نص
هذه النقوش أو صورتها ، وأحالنا على المصدر الذي
اعتمد عليه ، وهو مجلة الثقافة الاسلامية Islamic
Culture وهي ليست بين يدي ، ولا في مكتبي الآن ،
لازجع اليها (2)

وصورة النقش فيما يلي :

ويشتمل النص على أسماء اعلام عربية يظن
انها أسماء الذين اشتركوا في بناء الكنيسة ، ويرى
المستشرق الفرنسي بلاشير Blachere ان النص
العربي ربما اضيف الى النقش في زمن متأخر لانه ليس
ترجمة للنص السرياني اليوناني ، وسائر كلمات
النقش ، كما يبدو من الصورة ، عربية الخط ، على
اختلاف العلماء في قراءتها .

والنقش الثاني أحدث من نقش « زيد » بأكثر
من نصف قرن تقريبا ، وعثر عليه العالم فترتسين
Wetzstein في حوران اللجا الواقعة جنوب دمشق ،
شمال غربي جبل الدروز ، عام 1864 ، ومكتوب
باللغتين اليونانية والعربية ، ووصل اليها تسميه
العربي سليما كامل الكلمات ، وهو نصب تذكاري اقيم
حسب عبارة النص اليوناني للتديس يوحنا المعمدان ،
ويحمل تاريخ عام 463 حسب تقويم بصري ، أو ما
يعادل 568 للميلاد ، وصورته :

انا سر حيرم كلمو سد دا / المزبور
سد بكو لكسر علا مسد
حير
كل

وكلماته في الرسم العربي الحديث :

- 1 - انا شرحيل بن ظلّموا (= ظالم) بنيت ذا
البرطول (= الكنيسة) .
- 2 - سنت 463 بعد مفسد .
- 3 - خير
- 4 - بعم (= بعام) (1) .

وهذا النقش هو أول نص جاهلي عربي كامل في
كل كلماته ، وبه أصبح بين أيدينا نموذج لطريقة
كتابية تكونت نهائيا ، ولا تختلف عن بقية النقوش التي
سنعثر عليها فيما بعد الهجرة الا في اشياء قليلة مردها
الى المواد المستعملة ، أو مهارة النقاش .
أما أقدم كتابة اسلامية وصلت اليها ، فنصب على

ونصه :

- 1 - بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر
- 2 - لعبد الرحمن بن خير الحجازي اللهم اغفر له (3)

- (1) كان ليمان أول من فك رموز (مفسد خير بعام) ، وكانت قبله مبهمه ، ويرى انها تشير الى غزوة أحد
أمرأ بني غسان لخبير ، ويستدل بفقرة جاءت في كتاب « المعارف » لابن قتيبة : « ثم ملك بعده
الحارث بن أبي شمر ... وكان غزا خير فسبى من أهلها ، ثم اعتقهم بعد ما قدم الشام » .
- (2) مصادر الشعر الجاهلي ، ص 32 .
- (3) يلاحظ ان الكلمات مجرد من الاعجام ، والرمز الى اصوات المد الطويلة ، ولذلك قرئت على أوجه
كثيرة . فقرأت G. Wiet الكلمة الرابعة « خير » ، وقراها ولنسون « خير » ويرى ليمان انها يمكن
ان تقرأ « جابر » أو « جبار » أو « جبير » . وقرأت الكلمة الخامسة « الحجري » وآثر ولنسون
« الحجازي » .

3 — وأدخله في رحمة منك وآتانا معه

4 — استغفر له إذا قرأ هذا الكتاب

5 — وقل آمين وكتب هذا

6 — لكتب (الكتاب) في جمدي (جمادى) الآ

7 — خر من سنت احدى و

8 — ثلثين (ثلاثين) .

ويلاحظ أن التأثير الاسلامي واضح في النقش ، وبعض كلماته مقتبس من القرآن . ولدينا نقشان آخران يرجعان الى هذا القرن ، اولهما عثر عليه في تبة الصخرة ببيت المقدس ، ويرجع الى عام 72 هـ = 691 م ، والثاني نقوش قصر برقة ، وتحمل تاريخ 81 هـ = 700 م .

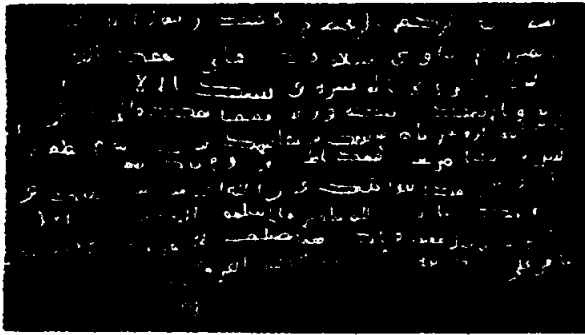
لكن كتابة النقوش لها طريقتها ، والكتابة العادية لمطالبات الحياة اليومية ، أو تسجيل الوثائق الادبية ، لها طريقة أكثر بساطة ، وأشد اناقة ، وأقدم ما لدينا منها ثلاث رسائل بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس عظيم القبط في مصر ، والى المنذر ابن ساوى ، والى النجاشي في الحبشة ، وقد عثر على ما يظن انه الاصول الحقيقية لهذه الرسائل ، ومهما يكن الرأي في أصالتها ، فجانبا الرسم منها يصور ، دون ريب طريقة كتابة الرسائل في القرن الاول الهجري .

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم كتابه الى المقوقس ، عظيم القبط في مصر ، مع حاطب بن ابي بلتعة ، سنة ست من الهجرة ، وزعم بعض المستشرقين أنهم وجدوا النسخة الاصلية للكتاب في الصعيد (1) ، وصورتها :

ونصها :

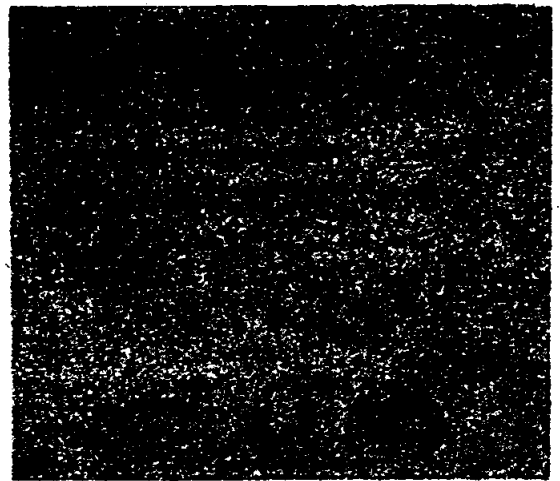
- 1 — بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ور
- 2 — سوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على
- 3 — من اتبع الهدى اما بعد فاني
- 4 — أدعوك بدعاية الاسلام أسلم
- 5 — تسلم يؤتك الله أجرك مرتين
- 6 — فان توليت فعليك اثم كل القبط
- 7 — يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة
- 8 — سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
- 9 — ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
- 10 — بعضا آريبا من دون الله فان
- 11 — تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلم
- 12 — لمون .

وأرسل الثانية الى المنذر بن ساوى العبيدي صاحب البحرين ، حملها اليه العلاء بن الحضرمي ، وكتبت اليه ردا على رسالة منه الى الرسول عند ما دعاه الى الاسلام وصورتها :



ونصها :

- 1 — بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى
- 2 — المنذر بن ساوى سلام عليك فاني أحمد الله
- 3 — اليك الذي لا اله غيره ، وأشهد أن لا اله الا
- 4 — الله وأن محمدا نبيه ورسوله اما بعد فاني أذكرك
- 5 — الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه
- 6 — وانه من يطع
- 7 — رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم
- 8 — فقد نصح لي
- 9 — وان رسلي قد اثنوا عليك خيرا واني قد شفعتك
- 10 — في



(1) راجع مجلة الهلال ، سنة 13 ، ص 103 و 160 .

8 — تومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه و عفوت عن أهل

9 — الذنوب فاتبل منهم و انك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن

10 — اقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية.

ولم يتيسر لي رؤية اصل الرسالة الموجهة الى نجاشي الحبشة ، او صورة لها ، ولو ان نصها موجود في معظم المصادر التاريخية ، ويلاحظ ان التشابه كبير ودقيق بين رسم هاتين الرسالتين ، وبين الرسم الذي كتب فيه النقش الذي عثر عليه في الفسطاط .

وثمة مجموعة من اوراق البردي ، يرجع اقدمها الى عام 40 للهجرة = 660 للميلاد ، عثر عليها في مكان قريب من اهرام سقارة ، وفي الفيوم واخميم والاشمونين والبهنسا وميت رهينة وادفو ، ووجد بعضها متلاصقا متماسكا متحجرا ، مطموسا بالتراب ، ووصل بعضها الآخر مجزأ كله او بعضه لرتوبة الارض ، او بغمسل النيران ، ووجدت محفوظة في جرار من فخار او سلال ، او ملفوفة في ادراج صغيرة ، مربوطة وعليها طابع المؤلف وخاتمه وتسرب معظمها الى مكتبات ومتاحف فيينا وبرلين وباريس ولندن . وقسم منها مكتوب باللغة اليونانية ، والقسم الآخر مكتوب باللغة العربية ، وقام بنشر هذا القسم الاخير ادولف جروهمان Adolf Grohmann استاذ اللغات السامية وتاريخ الحضارة الشرقية في الجامعة الالمانية في برراج ، واهمية هذه الوثائق من الناحية الادبية محدودة للغاية او معدومة ، لان جلها عقود ووثائق تتصل بحياة الناس اليومية من بيع وشراء ، ولكنها ذات أهمية بالغة في التاريخ لتطور الخط العربي ، وبخاصة في مراحلها الاسلامية المبكرة ، قبل ان تصبح الثقافة امرا شائعا والخط فنا يهوى ويدرس ويعلم .

تدل هذه الوثائق على وجود كتابة منذ الفتح الاسلامي ، ذات اشكال مستديرة تختلف تماما عن الكتابة الكوفية الموجودة على المباني والنقود ونسخ

القرآن القديمة . وازاء هذا الواقع دعا المستشرق سلفستر دي ساسي Sylvestre de Sacy الى اعادة النظر من جديد في الرأي القائل بان الخط الكوفي سابق للكتابة العادية السريعة ، والتي عرفت بالنسخي ، لان استخدام هذا يظهر في اوراق البردي ، في الوقت الذي كتب فيه بالكوفي على المسلات والمباني . والحق ان هذا القول يصدق على كتابات القرن الاول الهجري السابع الميلادي ، اما كتابات القرن السادس الميلادي ، القرن الذي سبق مولد الاسلام ، فمن الصعب تأكيد هذه الحقيقة او انكارها ، لاننا لا نملك من هذا العصر سوى نقوش فحسب ، وليس بين ايدينا نموذج واحد للكتابة العادية التي تؤدي اغراضا عاجلة ، وتخط على ما كان يكتب عليه في تلك الحقبة من الزمن (1) . وتفسير هذا التباين باختلاف المواد المستعملة للكتابة عليها لا قيمة له لان الكتابة العادية سرعان ما حلت ، فيما بعد ، محل الكتابة الكوفية حتى على الحجر (2) .

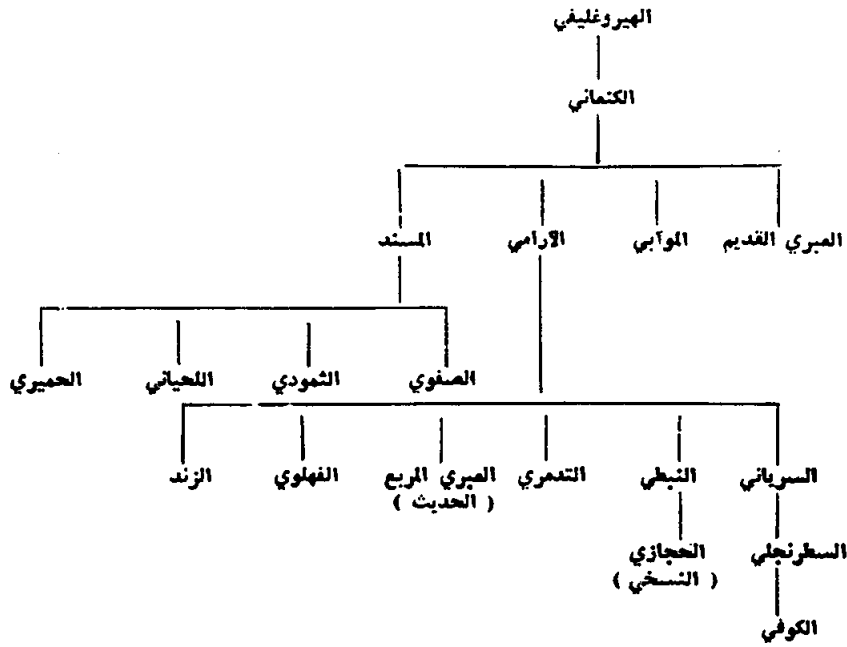
ويعتقد برجييه Berger ان التباين بين الخط الكوفي والخط النسخي يعود الى اسباب جغرافية ، فالكوفي كان يكتب في بلاد العرب وسواحل سورية ، اما النسخي فكان مستعملا في مصر ، التي ظلت بعيدة عن التأثيرات السريانية فاحتفظت بحرية تصرفها ، وانها لتبدو كأنها الوارث الوحيد للانباط (3) . وقد حاول بلاشير أن يجرد هذه النظرية من قيمتها ، وان يرد التباين الى الاستعمال نفسه ، فالكتابة العادية السريعة (النسخي) هي المستخدمة في الاغراض العاجلة والمراسلات والعقود الرسمية او الخاصة ، والكوفية مخصصة للنقوش وحفظ النصوص الدينية ، واستدل على ذلك باستخدام الخط الكوفي في نقش الفسطاط (4) . والواقع ان الخط الذي كتب به نقش الفسطاط ليس كوفيا ، بل هو الى الخط النسخي اقرب ، وان يكن في صورة ساذجة غير متقنة (5) .

وبالجملة فان الخط العربي ، كما يرى برجييه « تولد تدريجيا ، بعد ان مر بمراحل عديدة من التطور الوئيد ، من كتابة السكان الذين كانوا يحتلون شمال شبه الجزيرة في القرون الاولى للميلاد » .

- (1) Blachère, Régis : Histoire de la Littérature Arabe des Origines à la fin du XV^e siècle de J.-C., vol. I, 60 sqq., Paris, 1952.
- (2) Février, J. : Histoire de l'Écriture. Vol. I, 263, Paris, 1949.
- (3) Berger, Ph. : Histoire de l'Écriture. Vol. I, 291, 293. Paris, 1891.
- (4) Blachère : Histoire de la Littérature Arabe, Vol. I, 63.

(5) انظر ص 50 .

وخضع هذا التطور لنفس القانون الذي خضعت له كل الكتابات التي اشتقت من الكتابة الآرامية ، لقد كان تغيرا تدريجيا « أجد به ودنعه في تيار الاستعمال طريقة الوصل بين الحروف التي نرى تطبيقاتها الاوليصة في نقوش تدمر وهوران » (1) لقد تولد الشكل الكوفي من السطرنجلي ، واشتق هذا من السرياني ، وكان مستخدما عند النصارى اليعقوبيين في العراق ، بينما اشتق النسخي (أو الحجازي) من الخط النبطي ، وكان يستخدم في المنطقة بين حوران والحجر (حديثا مدين صالح) ، وفي أواخر القرن السادس كان مستخدما في دومة الجندل (الجوف الحالي شرقي نجد) وفي الحجاز ، ويحكم المركز التجاري الهام الذي احتلته مكة في الجزيرة العربية في هذا القرن وقبله ، فمن المحتمل أن هذا الخط كان أكثر انتشارا مما نظن . ويمكن أن نوجز تطور الخط العربي في الرسم التالي :



القراءة ، فكلمة « نتلو » قراها حفص بن سليمان بن المغيرة « تيلو » وقراها عبد الله بن مسعود « نتلو » وكلمة « سسا » قراها حفص « تتيبنا » وقراها مجاهد بن جبر « تبيينا » . والآية « جعل السقية (السقية) في رحل أخيه » قراها رجل « جعل السفينة في رحل أخيه » ، وأمثلة أخرى كثيرة ، وقف عليها حمزة الاصفهاني مؤلفا كاملا هو « التنبيه على حدوث التصحيف » (2) . ويروي المؤرخون أن أبا الاسود الدولي المتوفى عام 69 هـ = 688 م جزع للامر ، ودخل على زياد بن أبيه وهو والى العراقين ، فقال له : « أصلح الله الامير ! اني ارى العرب قد خالطت هذه الاعاجم ففسدت سنتهم . افتأذن لي أن اضع لهم ما يقيمون به كلامهم ؟ » فأبى عليه زياد ذلك ، ثم عاد فأمره بما نهاه عنه ، لانه

ويلاحظ في هذه النقوش ، وكتابات صدر الاسلام ، انها خالية من النقط والاعجام خلوا كاملا ، وهي ظاهرة تشترك فيها كل الابجديات السامية القديمة ، باستثناء الابجدية الحبشية . ويراد بالاعجام تمييز الحروف المتشابهة ، وبالنقط ، أو الشكل ، وضع علامات تدل على حركات الحروف ، قصيرة أو طويلة ، وفي عصور تالية لصدر الاسلام ، نجد من يستخدم النقط بمعنى الاعجام أحيانا .

وأول محاولة للنقط كان دافعها وهدفها ، كبقية العلوم الاخرى ، الحفاظ على دقة ضبط الفاظ القرآن الكريم ، ولما كان الناس يقرأون في مصاحف عثمان رحمه الله وهي غير منقوطة ولا معجمة فيخطئون

(1) M. de Vogüé : Syrie Centrale, p. 12, Paris,

(2) مخطوط بمكتبة البرلمان بطهران - ايران ، تحت رقم 282 .

سمع اللحن بأذنه من رجل دخل عليه يقول : « أصلح الله الأمير . توئى أبانا وترك بنون ... » فوضع أبو الاسود باب التعجب ثم باب الفاعل والمفعول به ، والمضاف ، وحروف الجر والرفع والنصب والجزم ، وأخذ كلما سمع لحنة وضع القاعدة التي تصلحها (1) ثم وضع أول قواعد النقط : نقطة أعلى الحرف للفتحة ، وبين يديه للضمة ، وتحتة للكسرة ، وللتونين نقطتان ، ولم يضع علامة للسكون ، واعتبر اهماله علامة عليه .

ويبدو أن صنيع أبي الاسود الدؤلي لم يكن كافيا ، فلم يوقف موجة اللحن والخطأ الفاشية . فكثر التصحيف وانتشر بالعراق ، بعد أن غبر الناس يقرأون في مصاحف عثمان نيفا وأربعين سنة ، إلى أيام عبد الملك بن مروان ، وأدرك الحجاج ذلك واعيا خطره « ومنزع إلى كتابه ، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشبهة علامات ، فيقال : ان نصر بن عاصم قام بذلك ، فوضع النقط أفرادا وأزواجا ، وخالف بين أماكنها بتوقيع بعضها فوق الحروف وبعضها تحت الحروف ، فغبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون الا منقوضا ، فكان التصحيف مع استعمال النقط أيضا يقع ، فأحدثوا الاعجام ، فكانوا يتبعون النقط بالاعجام » . أورد هذا النص أبو احمد العسكري في كتابه « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » ، وليس فيه ما يناقض الرواية الاولى ، فليس ثمة ما يمنع أن يكون أبو الاسود الدؤلي هو الذي بدأ الفكرة ، ثم جاء نصر بن عاصم فاتسم ناقصها ، وأكمل تواعدها ، وزاد على سابقه الاعجام . ويدعم هذا الرأي عندي أنا ابا الاسود جعل نقطه بمداد مخالف لما كتب به القرآن تحرزا ، ووضع نصر بن عاصم ، ومن بعده يحيى يعمر ، نقط الاعجام بنفس المداد الذي كان يكتب به الكلام ، حتى لا يختلط بنقط استاذهما أبي الاسود . وقد انتشرت تلك الطريقة وأضاف إليها الناس علامة التنونين فكانت نقطتين الواحدة فوق الاخرى ، وزاد أهل المدينة التشديد

فجعلوها توسين يجعلان فوق المشدد المفتوح ، وتحت المكسور ، وعن يسار المضموم ، ووضعوا نقطة الفتحة داخل القوس ، والكسرة تحت حديته والضمة على شماله ، ثم استغنوا عن النقطة وتلبوا القوس مع الضمة والكسرة ، وأبقوه على أصله مع الفتحة . وزاد أهل البصرة السكون فجعلوه جرة أفقية فوق الحرف منفصلة عنه هكذا (-) .

ظل الناس يكتبون على طريقة أبي الاسود ، ونصر بن عاصم ، طوال الدولة الاموية وصدر دولة بني العباس ، وفي الاندلس حتى أواسط القرن العاشر الميلادي ، فلما شاعت الثقافة ، واستكثر الناس من نقط الحروف واعجامها لتسهيل التعليم اشتبهت نقط الاعجام بنقط الشكل ، فاخترع الخليل بن أحمد المتوفى 170 هـ = 786 م الشكل الذي نستعمله الآن ، فجعل الضمة واوا صغيرة تخط فوق الحرف ، والفتحة الفا مستعرضة تكتب أعلاه ، والكسرة ياء راجعة ترسم تحته ، والشدة رأس شين مختزلة من « لفظ تشديد » ، والسكون رأس خاء مختزلة من لفظ « تخفيف » ، وهمزة القطع رأس عين مختزلة من لفظ « قطع » ، وهمزة الوصل رأس صاد مختزلة من لفظ « وصل » (2) .

هل كان النقط والاعجام موجودين فيما قبل القرن الاول الهجري ، أو بمعنى أدق قبل أن يبتدع أبو الاسود الدؤلي أولهما ، ونصر بن عاصم ثانيهما ؟ سؤال ليس من السهل الاجابة عليه نفا أو اثباتا في بساطة . لان النقوش التي لدينا ، جاهلية أو من آثار النصف الاول للقرن الاول الهجري ، غير منقوطة ولا معجمة ، ولا تحمل اية علامات لاصوات المد قصيرة أو طويلة ، ولو ان النقوش العربية التي دونت بالخط النبطي ، وأشرنا إليها من قبل ، تحمل بعض كلماتها اصوات المد الطويلة ، وبخاصة الواو والياء ، مثل كلمة « الشعوب » في نقش النمارة (3) و « شرحيل »

(1) لا تزال اولية النحو العربي مجهولة لم تدرس بعد ، ولا اتصور أن الامر تم بالبساطة التي تذكرها المصادر الاولى ، وكلها تقرر أن ابا الاسود الدؤلي وضعه من ذات نفسه وانشائه أو بإشارة من الامام علي رضي الله عنه ، وأية دراسة جادة فيما أرى ، لا بد أن تدرس النحو العربي مقارنا بنحو بقية اللغات السامية الاخرى ، وسوف تلقى هذه من الضوء ما يساعد على تكوين رأي علمي فيما يتصل بنشأة النحو العربي ومراحل تطوره .

(2) جانتب الدكتور علي عبد الولحد وافي الصواب حين زعم في كتابه : فقه اللغة ص 175 ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1369 هـ = 1950 م ، أن مؤرخي العرب ينسبون اختراع هذه الطريقة إلى أبي الاسود الدؤلي ، والحق أن النقط كان من صنعه ، أما طريقة الرسم هذه فمن عمل الخليل بن أحمد ، ولم يقل أحد منهم ان ابا الاسود هو الذي ابتدعها

(3) راجع ص 45 .

« سنة » ، ظنا منه ان ترك اعجابها يترك القارىء في لبس ، وصورة الرسالة في الصفحة المقابلة ، ونصها :

فادفع اليه ما كان
له بأرضك من جاليته	أما بعد فان هشام بن عمر
ولا اعرفن ما رددت	كتب الي يذكرك
رساله أو كتب الي	جالية له بأرضك
يشتكيك والسلام	وقد تقدمت الي
على من اتبع الهدى وكتب	العمال وكتببت اليهم
يزيد في جمادى الآخرة	الا يؤوا جاليا فاذا
سنة احدى وتسعين	جاءك كتابي هذا



و « المرطول » في نقش « حران » (1) وأما الالف فأول ما نلقاها مكتوبة في الرسائل النبوية الى القوقس والمنذر بن ساوى (2) ، ولا نجد لاصوات المد القصيرة اية اشارة من اي لون في اي نقش جاهلي ، ولم تصلنا كتابة جاهلية على رق أو بردي .

أما بعد الاسلام ، وقبل أبي الاسود الدؤلي ، فيذكر الدكتور ناصر الاسد ، نقلا عن الدكتور أدولف جروهمان ، أن ثمة بردية يرجع تاريخها الى عام 22 للهجرة ، على عهد عمر بن الخطاب ، وهي مكتوبة باللغتين العربية واليونانية ، وأن بعض حروفها منقوطة معجم ، وهي حروف : الخاء والذال والزاي والشين والنون . ويذكر ، نقلا عن ج . س . ميلز G. C. Miles أن نقشها وجد بقرب الطائف يرجع تاريخه الى سنة 58 هجرية ، على عهد معاوية بن أبي سفيان ، وأن أكثر حروفه التي تحتاج الى نقط منقوطة معجبة (3) .

لم يتيسر لي الاطلاع على البردية التي أوردتها جروهمان ، ولا أكاد اطمئن اليها ، لان الرسائل النبوية كتبت قبلها بما لا يزيد على خمسة عشر عاما ، وانفق فيها الكتاب كل جهدهم فنا وتجويدا ، لانها موجهة من رسول الى ملوك وأمراء ، ويراد لها ، لكي تؤدي رسالتها كاملة ، أن تكون واضحة الخط ، كاملة الرسم ، سهلة القراءة ، لا تحمل اعجابا . وأن مصحف عثمان ، وقد كتب بعد هذه الوثيقة بثمانية أعوام ، كان خاليا منه ، وما كان أحوجه اليه ، فمن أجل الحفاظ على نصه فكر العلماء في النقط والاعجام . ووجود نقش وحيد بعض حروفه معجبة ، ويرجع الى فترة لدينا منها نقوش أخرى غير معجبة ، لا يكفي لتأصيل قاعده وتقرير حقيقة ، فربما أضيف اليه الاعجام فيما بعد ، عندما أصبح أمرا شائعا في كتابة النصوص والوثائق . لم يتعود الناس النقط ، أو الضبط بمعنى أدق ، الا بعد فترة طويلة ، حين شاعت العمية ، وكثر اللحن . أما الاعجام فلدينا وثيقة ترجع الى سنة احدى وتسعين هجرية ، لم يعجم الكاتب منها على طولها النسبي غير كلمتين ، الكلمة الاولى من السطر الثاني عشر « يشتكيك » ، والكلمة الاولى من السطر الاخير

(1) راجع ص 44

(2) راجع ص 52 ، 53 .

(3) مصادر الشعر الجاهلي ، ص 40 . والمصدران اللذان نقل عنها هما :

(1) Adolf Grohmann : From the World of Islamic Papyri, pl. II (a).

وصورة البردية ووصفها ونصها مع ترجمتها في ص 113 — 114 . ثم انظر ص 82 من نفس الكتاب .

(2) G. C. Miles : Early Islamic Inscriptions Near Taif in the Hijaz, JNES, 7 (1948).

وصورة النقط هناك رقم 18 .

ولكني أشارك الدكتور ناصر الاسد رأيه ، في أن عدم وجود الاعجام والنقط لم يكن موجودا قطعا — فيما بين أيدينا من نقوش جاهلية ، لا يعني بالضرورة أن الاعجام لم يكن معروفا ولا مستعملا ، فربما كان ذلك « ناجما عن اطمئنان الكاتب الى أن كلماته هذه المنقوشة في نجاة من التصحيف والخلط في القراءة ، لانها أسماء اعلام ، وسنوات ، وكلمات بينهما من اليسير معرفتها وربما كان مما يسوغ له اهمال النقط فوق ذلك صعوبة فنية ومثقة عملية في النقش » .

وفي عرض الدكتور الاسد للمشكلة خلط بين لفظي « النقط » و « الاعجام » ، فأورد كلمتي « منقوط معجم » و « ومنقوطة معجمة » (1) ، مما يوقع الدارس في حيرة ، لان النقط يعني به رسم أصوات المد والسكون ، لضبط نطق الكلمات ، على حين أن الاعجام يعني به النقط الذي يفرق بين الاحرف المتشابهة ، والقول بجريانه فيهما على الترادف لا يزيل الشبهة ، لانه جاء بهما معا ، ولو استخدم أحدهما دون الآخر لكان له في الترادف مندوحة .

ومنذ العصر العباسي أخذ الخط الكوفي يتنوع حتى أرى على خمسين نوعا ، من أشهرها : المحرر ، والمشجر ، والمربع ، والهدور ، والمتدخل . وبقي الخط الكوفي مستعملا في المباني والسكة الى القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، ثم نسي جملة ، حتى عاد اليه الفنانون في عصرنا الحديث ، يحيون دارسه فيها يكتبون على جدر المباني زخرفة ، أو يخطون من عناوين الكتب تجميلا .

أما خط الرسائل فكان لونا مستتبعا من الخط الكوفي والحجازي ، ابتدعه تطبة بن المحرر في اواخر

الدولة الاموية ، فاخترع خط « الجليل » الذي يكتب به على المباني ونحوها ، وتوجد نماذج متعددة على جدران مساجد القاهرة ومدارسها وارتبطها وسبلها وخرائب قصورها . ثم « الطومار » وهو اصغر من « الجليل » ، وكانت تكتب به أسماء السلاطين وعلاماتهم على المنشورات والمعهود . وفي العصر العباسي ولد ابراهيم الشجري قلم الثلثين (أي ثلثي الطومار) ، واخترع من الثلثين آخر سماه « الثلث » . وولد يوسف أخوه من « الجليل » القلم الرياسي ، وسمي كذلك لانه أعجب ذا الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون ، فأمر أن تحرر به الرسائل السلطانية ، ولا تكتب بغيره ، ثم عرف فيما بعد بقلم التوقيع .

واخترع الاحول المحرر قلم « النصف » ، « وخفيف الثلث » ، وتلما ليس في حروفه شيء ينفصل عن غيره وسماه « المسلسل » ، وكانت تكتب به عامة الرسائل ، وغبار « الحلبة » وكان يكتب به في بطائق الحمام الزاجل والرقاع وغيرها .

ثم جاء الوزير أبو علي محمد بن مقلدة (2) ، وأخوه أبو عبد الله الحسن ، المتوفى 338 هـ = 949م ، فتم على أيديهما هندسة خط النسخ والجليل وفروعه ، على الاشكال التي نعرفها الآن ، فضبوا الحروف ، وتدرأ مقاييسها وأبعادها ، وأحكا ضببطها ، واخترعا له القواعد ، وعنهما انتشر الخط العربي كامل الصورة في مشارق الارض ومغاربها .

ثم اخترع الشكل الفارسي ، وكان استعماله عابا في أواسط آسيا وفارس وأبدع الخطاطون الاثراك فيما لدينا من أشكال للخط العربي ، وحولوا بعض أنواعه وخاصة الرقاع (الرقعة) الى ما نعرفه الآن .

(1) مصادر الشعر الجاهلي ، ص 40 .

(2) كان ابن مقلدة شيخ الخطاطين دون منازع ، تولى في بدء حياته بعض أعمال فارس ، ثم أصبح وزير الخليفة المقتدر بالله سنة 316 هـ = 927 م ، ثم كاد له أعداؤه عنده فقبض عليه سنة 318 هـ ، وصادر أهواله ونفاه الى فارس . وأصبح وزيرا للراضي فوشى به أعداؤه ثانية فقبض عليه وعزل وبقي معتزلا الوزارة .

وحاول ابن مقلدة أن يكيد لابن رائق أمير الامراء ببغداد عند هذا الخليفة المستضعف ، فوشى به الخليفة الى ابن رائق ، فقبض عليه وقطع يده اليمنى . ثم ندم الراضي على ذلك ، وأمر الاطباء بملازمته الى أن برا ، فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به . وكاد له ابن رائق عندما أحس بأن الخليفة يفكر في أن يوليه الوزارة ، فكانت النتيجة أن تطع لسانه ، وأتام في الحبس مدة طويلة ، قاسى فيها عناء شديدا ، ولم يزل به حتى توفي عام 328 هـ = 939 م ، ومن شعره :

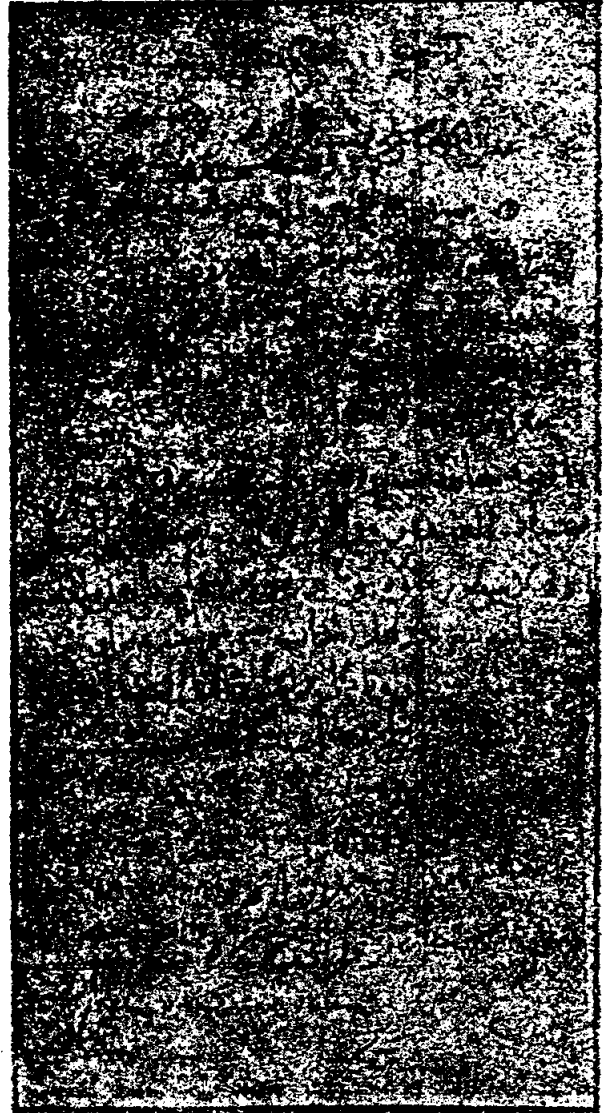
بايمانهم فباتت يميني
حرموني دنياهمو بعد ديسي
حفظ أرواحهم فما حفظوني
يا حياتي باتت يميني فبيني

ما سئمت الحياة لكن توثقت
بعث ديني لهم بدني ساي حتى
ولقد حطت ما استطعت بجهدني
ليس بعد اليمين لذة عيش

وقد أوقف أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي المعروف بالقلقشندي ، نسبة إلى القرية التي ولد فيها ، والمتوفى عام 821 هـ = 1418 م جانبا كبيرا من الجزء الثالث من موسوعته « صبح الاعشى » على الخط العربي ، تتبع فيه نشأته وأشكاله وفنونه ، وتواعده وصوره وهندسة حروفه ، وما يكتب به ، وما يكتب عليه ، وتوانين الكتابة وآدابها وطرقها . ونظم زين الدين شعبان بن محمد بن داود الأثري ، محتسب مصر ، الفية في صناعة الخط وسماها « العناية الربانية في الطريقة الشعبانية ».

أما الاندلسيون والمغاربية فلم يسلكوا نهج ابن مقلة وأصحابه ، فظلوا يكتبون على طريقة الخط الحجازي إلى الآن ، مع شيء من التعديل ، وابدعوا داخل هذا الإطار فنونا منه ، وربما مال « الجليل » عندهم إلى بعض تواعد « الثلث » في أواخر عصورهم ، كما يشاهد على جدران الحمراء بقرنطة . ويختلف أهل المشرق عن أهل المغرب في ترتيب الحروف ، فهي عند أولئك : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي . وهي عند هؤلاء : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لا ي . كما يختلف أهل المغرب عن أهل المشرق في اعجام الفاء والقاف ، فهم ينقطون « الفاء » بنقطة من أسفلها ، والقاف بنقطة واحدة من أعلاها . وفي استخدام الشكل اللاتيني المعاصر للأرقام ، وهو استخدام سابق لموجة الاستعمار الأوربي المعاصر في العالم الإسلامي ، وليس نتيجة له . ويرى علماء المغرب ، وهم على حق ، أن صور الأرقام التي استخدمونها عربية أصيلة ، وليست منقولة عن الرسم اللاتيني ، لأن أوربا لم تكن تعرف هذه الأرقام ، وإنما تعلمتها عن العرب ، عرفها جيربرت Gerbert (930 — 1003 م) في الأندلس حيث تلقى دراساته العالية ، وأشاعها بنفوذه حين أصبح بابا الكاثوليك تحت اسم سلفستر الثاني Silvestre II عام 999 م . ويتحدث عنه المؤلفون الغربيون القدامى كمخلص للعالم المسيحي (الأوربي) من ضنك الأرقام الرومانية ، وحامل معجزة الصفر والنظام العشري إليها من العرب ، وهو الذي طالع أوربا بأول كتاب من نوعه في علم الحساب بالأرقام العربية ، وقد وجد فيها الأوربيون متعة لا تعوض لعظم فائدتها وبساطة تركيبها . وقد تطورت هذه الأرقام في المشرق بينما احتفظ بها المغرب ، أو طورها قليلا ، وهم يستخدمون هذه الأرقام الآن فيما يكتبون أو يطبعون . وسواء أكان

وارتقوا بالمسلسل إلى الغاية ، وولدوا منه خط العلامة السلطانية (الهمايوني) . وكان أشهر خطاطيهم الحافظ عثمان بن علي ، وهو نابهة الخطاطين جميعا ، واختير معلم خط للسلطان أحمد خان الثاني (خليفة من 1691م إلى 1695 م) ، وللسلطان مصطفى خان الثاني (خليفة من 1695 م إلى 1703 م) ، وكان يجلس كل يوم أحد لتعليم الفقراء الخط مجانا ، ويوم الأربعاء لتعليم الأغنياء بأجر . وأشهر المصاحف وأكثرها تداولاً مكتوب بخطه وقد نسخ منها خمسة وعشرون ، ومقدارا كبيرا من الرقاع والألواح وأجزاء القرآن ودلائل الخيرات



صورة وثيقة مكتوبة على ورق البسردى ترجع إلى عام 393 هـ

وقرا نبوتهم انما عليهم السلام فقال لا يغفوا مع رجل منا بناء لم يكمله وارجل تزوج بالثرة
 ولم يدخل بها وارجل تزوج زرعاً ولم يحضره **عليه السلام** النكح في حرامه حينئذ
 مرفقة العزوبان يستعقب الكافر والمراجم ومما يملأ على الموارد والفاجر ويقضي المنزل
 بمصعب الاموال كل زيار وكلوا ما يغفل عن ايها الارض تزلوا واكثر صامعهم راء وما يباح
 واعرهما الكنافا والحرايا ويمرر حرامته يامر بها عنكم في انعسر والرجال يتعسر اليه
 البعور في حال الزعة واخرها غيبة والتمهئة لوفت الحاربة فيكون لها اغور على المنازلة
 وافقر على المراهكة **عليه السلام** اعراد ما يحتاج اليه الجيسر زاد وعلوة يعرفه الخ
 عليهم في وقت الحاجة اذ انبغر زاد مع لتسكن نفوسهم اليه ويتفوس بمادة يفتخرون عن
 كلبها فيكونوا على الحلية اورد ولنازلة العروا فقولوا **عليه السلام** ان يقر
 احوال عروى وقدمت مع الصاعاات وفي كل باها واخبارهم محتويها ما هو الموعود على خاصهم
 واغراضهم ويتعسر في اذكار العيور وفي الرض وبعث مرتين به في اذات علاج بقاء العرو
 ويتعسر من كرم وفخرهم ويطمنن الغيبة في الميعود عليهم ارناء الا فرصة وتبين لمن غفلة
 باقى الحزب فخرمة وايسر القيلة والثاني عنده كذا صرحه **عليه السلام** ان يقر
 احوال التامير في عنكم وعلى يحتاج من الي الخروج في غارة او متعلقة بينه لزللا وعشوك
 الفارجه من البحر يتامير الموتور في تجزته وبياتينه ودرقته وعلمه بالجماعات جان اكثر
 ما يطبقون في ذلك اذ لم يمتصال عوم الامثال وارنا اللع من ذلك الحون مرغرة او جعل كرامين
 العرو نداء بالتمسوع الخروج حتى يغير امير او فقه جماعة تكور في المتعاطفة وايكون
 الخروج لشه من ذلك اذ اباد وقت نكم امير وجماعة كان كره الختم في امان اذ ابا **عليه السلام**

الباب السابع في امثال الخازن

امرا ماميه وامير عنكم، وقابدر جماعته

يجب على الخازن امثال امرا ماميه او امير عنكم، او قابدر جماعته وارنا عليه في قه امره
 ما استكحاح ما يوافق سنة في عمل او تدبير في رتبة او حيلة او كيفية على عود او نكح في بعض
 كليقة او مزية او ارباد ورامسة لجان او كسب لغارة او تخرير جريدك لتخل همة او جلب عيني
 او خور او غنمة واثبا، ذلك من الرمز التي للا ميم انهم فيما قال الله سبحانه والهي عوا لافه

صفحة من مخطوطة « تحفة الانفس وشمار سكان اهل الاندلس » لابن هذيل الاندلسي ،
 وهي مكتوبة بخط اندلسي

المسلمين في الاندلس ، واكراه المسلمين قسرا على التخلي عن عقيدتهم ولغتهم وتقاليدهم ، أخذ المسلمون المتنصرون يكتبون لغتهم الاسبانية بحروف عربية ، وخلفوا لنا بعضا من تراثهم الثقافي بها ، وكان يطلق عليهم الموريسكوس Moriscos وعلى لغتهم الخبيادو Aljamiado كما ان بعض المؤلفات العربية دونت برسم غير عربي ، فدون عدد قليل منها في الاندلس بالرسم العبري ، وعدد آخر في المشرق بالرسم السرياني . وتبذل جمهورية الصومال الاسلامية جهودا كبيرة لكتابة اللغة السواحلية التي يتكلمها سكان الصومال ، وسواحل افريقيا الشرقية ، وهي لغة غير مكتوبة حتى الآن ، بحروف عربية . وهي محاولة اذا قدر لها النجاح تفتح الطريق امام الحرف العربي الى بقية دول القارة الانريقية .

الرسم الاصلي هو المستعمل عندهم ، او ما يجري عليه العمل عندنا في المشرق ، فمن الخير توحيد بين جناحي العالم العربي . فان الرسم متشابه ، يزداد كل يوم قريبا ، فان الرسم المغربي للارتقام وهو نفس الرسم اللاتيني ، يبدو أكثر فائدة وأعم نفعا .

يستخدم الرسم العربي في وقتنا الحاضر عند جميع الشعوب الناطقة باللغة العربية ، ما عدا اهل مالطة فلهجتهم ترسم بحروف لاتينية ، وقد اتخذته امم اخرى لا تتكلم العربية لتدوين لغاتها ، كالفرس وسكان مدغشقر وزنجبار ، واللغة الاوردية ، وكانت تدون به اللغة التركية ، قبل ان يثور كمال اتاتورك على ماضي وطنه وتاريخه ، فألغى الرسم العربي عام 1925 ، واتخذ عوضا عنه الرسم اللاتيني . ومع نهاية دولة

وضعية اللغة العربية والثقافة الاسلامية في المؤسسات الاسبانية الرسمية

هناك ثمانية كراسي للعربية وللثقافة الاسلامية بكلية الفلسفة والآداب في اسبانيا (مدريد ، برشلونة ، غرناطة ، سرقسطة) وتتوفر بقية كليات الفلسفة والآداب على اساتذة مكلفين بالعربية . وبلغ طلبة الاقسام العامة العربية في الجامعة الاسبانية في السنة الماضية حوالي ألفي طالب . ويتابع نحو سبعين طالبا تخصصهم في اللغات السامية .

وهناك مراكز اخرى تدرس فيها العربية وهي : المدرسة الدبلوماسية ، والاكاديمية العسكرية العامة ، واكاديمية المشاة وبلغ فيها المتوسط السنوي خمسة عشر تلميذا كما تتوفر مدارس التجارة على العربية كمادة وهناك مشروع لتميم تعليم العربية بين تلاميذ التعليم الثانوي . وفي المعهد الاسباني بطنجة يوجد كرسي استاذ للعربية كما أن هناك مراكز اخرى لتعليم العربية وهي : الدراسات العربية بقرطبة (90 تلميذا) ، والمدرسة المركزية للغات في مدريد (35 تلميذا) .

اما مراكز البحث في علوم العربية في اسبانيا فتشمل مدرسة الدراسات العربية بمدريد ، ومثلها بقرطبة ، وهما تابعتان للمجلس الاعلى للابحاث العلمية وتشمل كرسي « فرنسيسكو كوديرا » بمعهد فرناندو الكاتوليكي بسرقسطة ، وكراسي العربية ومصادرهما بقرطبة ومعهد الدراسات الخليفية بقرطبة ، والمعهد الاسباني العربي للثقافة بمدريد .